الفصل الثالث

تصنيف البحوث التربوية

أهداف الفصل:

من المتوقع أن يكون القارئ في نهاية الفصل قادراً على:

1- التعرف على دور البحث التربوي وأهميته في تطوير النظام التربوي بصورة عامة وفي زيادة كفاءة وفاعلية العملية التعليمية داخل قاعة الدرس بصورة خاصة.

2- التعرف على أهمية معايير تصنيف البحوث التربوية.

3- التعرف على خطوات البحث الإجرائي وأهدافه ومقارنته بأهداف أخرى للبحوث التربوية.

4- التعرف على كيفية تطبيق خطوات البحث الإجرائي في حل المشكلات التربوية التي تواجه المربين في المدرسة.

[3- 1] البحث التربوي وأهميته في زيادة كفاءة النظام التربوي:

لقد ازداد الاهتمام بالبحث مؤخراً إلى درجة كبيرة بعد إن تأكدت العلاقة القوية الموجودة بين أجراء البحوث والاعتماد على نتائجها من جهة وبين التقدم العلمي والتكنولوجي وفي الحالات الأخرى كافة من جهة ثانية، لذا أصبح البحث التربوي يعتبر من أهم العوامل التي تساهم في زيادة كفاءة وفاعلية الأنظمة التربوية وذلك عن طريق التوصل إلى أفضل السبل المساعدة على تطوير الجانبين النوعي والكمي للمخرجات التربوية.كما يعتبر البحث التربوي الأساس الذي لا يمكن بدونه وضع آية خطة تربوية. ويعزى[1] الاهتمام بالبحث التربوي إلى أسباب متعددة منها:

1- تطور نمو الوعي الاجتماعي بصورة عامة وزيادة إحساس التربويين بصورة خاصة بأهمية البحث التربوي ودوره في رفع كفاءة وفاعلية الأنظمة التربوية، فقد أدى ازدياد هذا الوعي إلى إقبال المربين من باحثين وغيرهم من التدريسيين والإداريين والمشرفين على متابعة نتائج البحوث ومحاولة الاستفادة منها في حياتهم العملية وقيام بعضهم بإجراء البحوث بأنفسهم في مجال عملهم التربوي.

2- إن تعقد العملية التربوية وتعدد منا شطها أدى إلى زيادة المشكلات التربوية التي تتطلب أيجاد الحلول السليمة مما أدى إلى الاهتمام بالبحث التربوي والاعتماد على نتائجه للمساهمة في أيجاد مثل هذه الحلول.

إن الإطلاع على البحوث التربوية من قبل المدرسين وقراءتها قراءة دقيقة سيجعلهم مواكبين للتطورات التربوية مما يؤدي إلى شعورهم بوجوب تطور مختلف الجوانب والوظائف التي يقومون بها ويدركون الدور الذي يلعبه التقصي العلمي في تقدم وازدهار المجتمع.

[3- 2] تصنيف البحوث التربوية:

لا يوجد اتفاق حول معايير تصنيف البحوث وتستخدم أسس مختلفة كمعايير للتصنيف تتباين هذه الأسس حسب تباين الكتّاب والباحثين فمنهم ما يصنف البحوث إلى البحوث الأساسية والتطبيقية وبحوث التنمية ومنهم يصنفها إلى البحوث الأكاديمية والمهنية وآخرين يصنفونها إلى البحوث الكمية والبحوث الكيفية كما أن هناك باحثين يصنفونها على أساس المعيار الزمني في ثلاث فئات هي:

البحوث التاريخية، والبحوث الوصفية والبحوث التجريبية، وسنتناول في هذا الفصل استعراض موجز للبحوث الأساسية والتطبيقية وبحوث التنمية بشيء من التفصيل، ونتناول نمطاً من البحوث التطبيقية وهو البحث الإجرائي لعلاقته بتطور ورفع كفاءة العملية التعليمية بعناصرها المتعددة من تدريسي ومنهج وكتاب منهجي إلى غير ذلك.

أما في الفصول اللاحقة فسنتناول كل من البحوث التاريخية والوصفية والتجريبية.

[3- 3] البحوث الأساسية (Basic Research):

هي بحوث تتبع فيها خطوات البحث العلمي المعروفة والتي سنتناولها لاحقاً من اجل الحصول على المعرفة والحقائق المتصلة بمتغيرات أساسية والعلاقات الموجودة بينها، ولا ترمي إلى استخدام ما يتوصل إليه من نتائج في الحياة العملية وإنما تنتهي مهماتها باكتشاف العلاقات والأسباب وبمعنى آخر فأن المشكلة التي تبحث هنا لا يشترط فيها إن يكون لها نفع أو مردود تربوي فيها وإنما قد يكون أساسا لدراسات تطبيقية لاحقة من نتائجها في تطوير العملية التربوية وكمثال على هذا النوع من البحوث معظم تلك التي أجريت على تعلم الحيوانات كدراسات ثورنديك

وكوهلر وبافلوف وكذلك التي تجرى لمعرفة اثر بعض المتغيرات وعلاقتها بالتحصيل المدرسي أو بالغياب أو المنزلة الاجتماعية للمهن أو الاتجاهات نحو الدراسة وأسبابها وعلاقتها بمتغيرات أخرى وبصورة عامة فأن البحث الأساسي لا يهتم بتطبيق النتائج التي يتوصل إليها بصورة عملية.

[3- 4] البحوث التطبيقية (Applied Research):

هي البحوث التي تهدف إلى التوصل الى نتائج يمكن تطبيقها عملياً في تحسين النظام التربوي أو العملية التعليمية ولذا فهي تهتم بالتغيرات ذات الأهمية التربوية والاجتماعية فمثلاً يقوم الباحث بدراسة أسباب الرسوب وكيفية معالجتها أو أسباب ترك الدراسة والأساليب الواجب إتباعها مثلاً في هذه الظاهرة وما إلى ذلك من المتغيرات التي بدراستها يتم تطوير العملية التربوية وتحسين كفاءة النظام التربوي.

ولاشك فأن نتائج البحوث الأساسية تكون ضرورية لأجل إجراء بحث تطبيقي إذ لا يمكن البدء بإجراء بحث تطبيقي ما لم يكن على أسس نظرية تم التوصل إليها في بحوث أساسية سابقة تكون لها أهمية كبيرة في صياغة فرضيات البحث الأساسية. فلو أردت إجراء بحث تطبيقي للمقارنة بين كتابين مدرسيين أحدهما اعد للطريقة الكلية والآخر للطريقة الجزئية في تعليم القراءة في الصف الأول الابتدائي، فأنت لابد وان تستعرض أسس الطريقتين الكلية والجزئية والدراسات والتجارب التي أجريت في هذا الميدان لأجل أن تساعد في إجراء بحثك عن مدى صلاحية الكتابين، فالبحوث التطبيقية في مجال التربية هي البحوث التي يمكن أن تساهم نتائجها عند تطبيقها في تغيير العملية التعليمية، سواء كان هذا التغيير في الأهداف التربوية أو في أساليب التدريس أو في طرق أعداد المعلم أو المنهج الدراسي.

[3- 5] بحوث التنمية:

تهدف بحوث التنمية إلى التوصل إلى نتائج ملموسة يمكن أن تساهم نتائجها عند تطبيقها في تغيير العملية التربوية. وقد تشمل هذه النتائج الملموسة كتاب مدرسي أو وسيلة تعليمية أو دليل للمعلم أو جهاز يمكن استخدامه في العملية التدريبية وبالطبع فان مثل هذه النتائج تختلف عن تلك التي نحصل عليها في بحث أساسي أو تطبيقي والتي لا تتعدى من أن تكون بشكل عبارات تشمل توصيات وتوجيهات للقائمين بالعملية التربوية وتختلف بحوث التنمية عن البحوث الأساسية والتطبيقية بأنه من الصعب أن يقوم بها باحث واحد أو عدد محدود من الباحثين. إذ تتعاون عادة مجموعة كبيرة من الإفراد بمختلف الكفاءات والاختصاصات من اجل تنفيذ بحث واحد وكأن يكون تقويم كتاب مدرسي لتدريس مادة معينة أو تطوير نظام تربوي كامل مما قد يستغرق وقتاً طويلاً يصل في أكثر الأحيان إلى سنوات عدة وعلى أية حال فأن بحوث التنمية التربوية تقوم بها عادة مؤسسات متخصصة في أجهزة الوزارة أو الجامعة ولا يمكن أن يقوم بها الأفراد لما تحتاجه من وقت وجهد وأموال كبيرة.

[3- 6] البحث الإجرائي أو البحث الموجه للعمل: Action Research

البحث الإجرائي مصطلح بدأ استخدامه منذ أكثر من ربع قرن وكان الهدف الرئيسي هو تطوير ورفع كفاءة العملية التربوية بعناصرها المتعددة من مدرس ومنهج وكتاب مدرسي إلى غير ذلك.

والبحث الإجرائي هو ليس بنوع متميز عن البحوث الأخرى وإنما يعبر عن نمط من البحوث التطبيقية. وكل ما يتميز به عن النوع الأخر للبحوث هو انه يشترط أن يكون الباحث هو نفس الشخص الذي سيستخدم نتائج البحث في تطوير عمله وزيادة فاعليته. أي أن الباحث هو نفس الشخص المسؤول المباشر عن

العمل الذي يجرى البحث حوله. وعلى هذا الأساس فأن البحث الإجرائي في التربية هو تطبيق لخطوات الطريقة العلمية في حل المشكلة التعليمية من قبل المدرسين أو الإداريين أو المشرفين التربويين وغيرهم ممن يعمل في المجال التربوي أو البيئة المدرسية التي يجرى فيها. وتواجه المشتغلين في الحقل التربوي مشكلات تربوية عديدة أثناء أدائهم لواجبهم في التدريس أو الإدارة والأشراف، ولأجل أن يستطيع هؤلاء من حل بعض هذه المشكلات والوصول إلى نتائج إيجابية تساهم في التغلب عليها ينبغي أن يفكروا بأسلوب مدروس لتحقيق ذلك، وعدم الاعتماد على الأساليب والطرق التقليدية في مواجهة المشكلات لأن ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية تزيد من وحدة المشكلات وتجعلها أكثر تعقيداً.

إن أتباع المدرس أو المسؤول التربوي لخطوات الطريقة العلمية في مواجهة المشكلات التي تصادفه في عمله مميزات عدة من أبرزها ما يأتي:-

1- أن هذا الأسلوب يساعد المدرس أو المدير والتربوي في استخدام طريقة موضوعية لحل المشكلات التي تواجهه ويجنبه الأخذ بالنزعات الشخصية والتحيزات اللاشعورية والاعتماد على الخبرة والاجتهادات الشخصية أو الآراء المتضاربة التي تكون لها آثاراً سلبية في اتخاذه القرارات التربوية المتعلقة بعمله.

2- أن مساهمة المدرس والإداري أو المشرف في حل المشكلات التي يواجهها يقود بلا شك إلى قبوله النتائج والأخذ بها بالرغم من معارضتها لما كان يعتقد من آراء باعتبار أن النتائج التي توصل أليها ساهم نفسه في الحصول عليها ولم تكن مفروضة عليه من أي شخص أخر.

3- أن قيام المدرس أو الإداري أو المشرف التربوي بإجراء بحث بنفسه واستخدامه لنتائج البحث ودوره في تحسين العملية التربوية يدفعه ويشجعه إلى متابعة نتائج البحوث الأخرى التي تنشر في الكتب والمجلات التربوية

4- أن استخدام المدرس للبحوث الإجرائية قد يشجعه إلى المبادرة بتغيير أسلوب تدريسه ويجعله يؤكد على أسلوب حل المشكلات الذي يعتبر من أفضل الطرق التدريسية التي تنمي في الطلبة القابلية على التفكير والاعتماد على النفس في اكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات.

5- أن استمرار المدرس في استخدام البحث الأجرائي في عمله سيزيد من كفاءته في أجراء البحوث وذلك لان أغلب المدرسين الذين يبدأون بمثل هذه البحوث يستمرون في تعلم أصول البحث بصورة متعمقة مما يدفعهم إلى أجراء بحوث تربوية أكثر عمقاً قد تؤدي نتائجها إلى تحسن عمل المدرس نفسه فضلاً عن تحسين العملية التعليمية في المدرسة بكاملها أو في عدة مدارس وربما تؤثر في تغيير النظام التربوي بأكمله.

6- إن أي تغيير في سلوك المدرس يجب أن يسبقه تغيير في اتجاهه لذا فأن تغيير اتجاه المدرس سيكون أسهل إذا كان نتيجة لبحث أو دراسة قام هو نفسه بتخطيطها وتطبيقها وتقويمها مما لو كان نتيجة نصح وأرشاد أو توجيهات أو تعليمات تصدرها له مديرية التربية أو أي مسؤول تربوي أو فيما لو كان نتيجة قراءة بحث تربوي معين نشر في مجلة تربوية أو مطبوع ما.

[3- 7] المقارنة بين البحوث الإجرائية وبعض الأنواع الأخرى للبحوث:

يعتبر استخدام البحوث الإجرائية حركة ودعوة جديدة لتغيير أساليب البحث التقليدية. فهي دعوة لتطبيق طرق أكثر قوة وفائدة لتحسين ما يجري في داخل المدرسة بسرعة وجودة تامتين. ويمكن فيما يلي المقارنة بين البحث الإجرائي وبعض أنواع البحوث الأخرى بشيء من الإيجاز:

1- في الوقت الذي تقتصر فيه البحوث التقليدية وخاصة الأساسية على البحث عن حلول وإجابات عامة لأسئلة عامة لها استخدام واسع قد لا تتصل بموقف

محدد واضح، فأن هدف البحث الإجرائي هو الإجابة عن أسئلة واضحة محددة تتعلق بتحسين العمل في موقف تعليمي معين ولحل مشكلة عملية آنية.

2- في البحث الإجرائي يستخدم الأسلوب العلمي وخطواته الأساسية بصورته المبسطة الواضحة من أجل الحصول على الإجابات المفيدة لحل مشكلات موجودة. وقد لا يلجأ الباحث إلى استخدام أساليب القياس والطرق الإحصائية المعقدة لأجل الوصل إلي تلك الحلول على عكس ما يجري في البحوث الأخرى بحيث يصبح استخدام خطوات البحث العلمي معقداً إلى درجة يتعذر على المدرس الخوض في غمار مثل هذه البحوث.

3- في البحث الإجرائي يتوافر الحافز القوى لأجراء البحث. فالمدرس الذي يقوم بإجراء البحث لديه حافزاً ودافعاً قوياً بسبب تشوقه إلى حل المشكلة التي إمامه فهو يعمل ويثابر من اجل التوصل إلى الحلول لتلك المشكلة التي يواجهها أما في البحوث الأخرى فقد لا تواجه الباحث دائماً مشكلة واقعة أمامه وانما يحاول في بعض الأحيان البحث عن مشكلة لكي تكون مدار بحثه، وهدف الباحث في مثل هذه الحالة ليس الحلول ومدى فائدتها وإيجابيتها وإنما العلاقة بين المتغيرات والإجراءات التي يتبعها.

4- تنفيذ البحوث الإجرائية في صف مدرسي واحد يقوم بتدريسه أحد المدرسين كما إن بعضاً منها تنفذ من قبل عدد من مدرسي المدرسة أو جميعهم في بعض الأحيان ولا تتعدى نتائج الدراسة ما وراء حدود المدرسة على عكس البحوث الأخرى التطبيقية التي تتضمن دراسة صفوف أو مدارس متعددة من قبل أشخاص قد لا تربطهم بهذه المدارس أية صلة، ثم يتعدى التعميم حدود الصف والمدرسة إلى ما ورائها.